فرنك من الليمون. (ثالثاً) بيروت يصدر منها الى مصر وروسية وجهات الدولة العليَّة بنحو ٢٠٠,٠٠٠ فرنك. (رابعاً) طرابلس يبلغ صادر ليمونها الى الخارج فوق مليونين فرنك. (خامساً) الاسكندرونة محصولها من الليمون ٣٠٠,٠٠٠ فرنك

المرَدَة او الجراجمة

لحضرة الكاتب العالم والباحث المتفنّن الاب انستاس الكرملي

(المشرق) وردتنا هذه المقالة متأخّرة بالبريد وكان كاتبها الاديب ابقاهُ الله نسج يُرْدها قبل اطلاعهِ على ما سطَّرهُ حضرة الاب لامنس بخصوص الجراجمة فجاءت مقالتهُ هذه مؤيدة لقول الاب المذكور موافقة لهُ كأنَّها سقوط الحافر على الحافر

انَّ كاتب هذه السطور « ماروني قُحّ » وهو يبذل مهجتهُ ونفسهُ بطيبة خاطر في سبيل الدفاع عن وطنهِ وطائفتهِ وهو امرٌ لا يشقّ على احدٍ اذا قدَّر وطنهُ حقّ قدرهِ وبالخصوص اذا كان كلٌّ من الدين والدنيا والوجدان يسوق كل انسان الى هذا الشان. غير ان كل عاقل يجعل فوق حُبّ وطنهِ وطائفتهِ وجنسيَّتهِ محبَّتهُ لله لاسباب واضحة لا حاجة في ذكرها. ثم ينظم بعد حبّ الله في سلك محبوبيهِ حُبّ صورتهِ اي الشغف بالحقيقة لانهُ عزَّ وجلّ هو الحقّ عينهُ ومن طلب الحقّ في امورهِ وشؤونهِ فقد طلب الله لا محالة. وعليهِ فاني ان وجدتُ شائبة في شخصي او في اهلي « وتأكدت وجودها » اقرُّ بها صاغراً. واعنو لمن يرشدني الى ذلك واكون لهُ شاكراً. متذكِّراً انَّ الكمال لله وحدهُ عزَّ وجلّ. وان جميع خلائقهِ عرضة للنقص والزلّ

وكنتُ منذ أن حلمتُ قد نشأتُ على هذا الراي وهو: « ان المردة والموارنة قومٌ واحدٌ » وقد ناضلتُ عن هذا المذهب اشدّ المناضلة في كل فرصة سنحت لي. وبقيتُ على هذا القول حتى هذه الأيام اي الى ان طالعتُ ما كتبهُ حضرة الاب العلاَّمة المدقق هنري لامنس اليسوعي (المشرق ٥ : ٨٢٦) . فما كدتُ استشفّ من وراء سطورهِ رأيهُ الشخصي (وان صرَّح في مستهلّ كلامهِ بانهُ لا يُبدي رأياً في تلك القضية)

الّا وتغلّبت عليَّ بوادر الاستياء والغيظ لرؤيتي انهُ ينسف بخطّة قلم واحدةٍ صرحاً كنتُ إخالهُ ممرّدًا وقد كابد آباؤنا عرَق القربة في انهـاض دعائمهِ وتمكينها على أُسس تكاد تكون مكينة . وما طالعت مقدّمة تلك النبذة الّا وجئتُ على آخرها بلمحةٍ من البصر لشدّة التأثّر الذي اصابني وانا لا اكاد اعي شيئاً . وكل هذا كان جزافاً او من حدّ باب البوادر

وبعد ان ولّت عني تلك الحدّة ونتائجها وعقبها الهدوُّ والسكون قلتُ في نفسي : « ولماذا هذا الاستياء . فان كان الاب مصيباً في كلامهِ فلا يحسن بي ان امتعض من الحقّ وامتعاضي هذا لا يجدي فتيلاً ولا يُغيّر شيئاً من تلك الحقائق التاريخية . واماً اذا كان مخطئاً فان كلامهُ لا يفعل شيئاً في نفوس الباحثين المحقّين » وما قلتُ ذلك الّا وثابت اليَّ افكاري ورجعتُ الى رأيي الاول اي : « ان المردة والموارنة قومٌ واحد »

ثم بعد ذلك طالعت بلذةٍ لا تُوصف ما ورد في المشرق (٥ : ٩١٤) من الردّ على هذه المقالة وكنتُ كلّما قرأتُ سطراً شعرتُ بهزة فرحٍ في وجداني يفوق اضعافاً ما اصابني من الانزعاج عند مطالعتي مقالة حضرة الاب لامنس . الّا انني من بعـد ان فرغت من قراءتها ثمّ لحظتُ ما حثّني بهِ حضرة الاب الباحث تلك المقالة النفيسة بسطور دقيقة نحيلة عقدتُ النية على ان اتصفّح التاريخ بقلبٍ خالٍ من كل غرض لاتتبّع آثار تلك المسئلة واتثبّت الحقّ لأراهُ في اي الطرفين هو . وقلتُ : « عليَّ قبل كل شيء ان اطّلع على ما قالهُ العرب في هذا الموضوع لانهم كانوا كلّما فتحوا بلداً ذكروا امّتهُ او طائفتهُ ووصفوا احوالها . فلا يمكن انّهم لم يذكروا المردة وقد كان هؤلاء يدافعون بادئ بدء عن الرومانيين في جبل اللُّكّام . فاخذت اتصفّح كتب التواريخ العربية المطوّلة واحداً واحداً لعلّي اعثر على شيء من هذا القبيل فلم اجد ضالّتي لا في ابن الاثير ولا في ابن خلدون ولا في ابي الفـداء ولا في ابي العبّاس البلاذري ولا ولا ولا . . . فاستنتجتُ ان العرب لم يعرفوا هؤلاء الاقوام باسم المرَدَة بل باسم آخر عليَّ ان ابحث عنهُ واجدهُ . اماً ان العرب لم يعرفوا المردة البتّة فهذا لا نُصدّقهُ لأنّنـا نعلم حقّ العلم انّهم لمّا حاربوا الاكراد ذكروهم باسمائهم وعدّدوا قبائلهم ولفوفهم بنوع عجيب حتى انهُ لم يسبقهم الى مثـل ذلك التعريف الفرس انفسهم مع انهم جيرانهم فكيف لم يذكروا المردة وقد انتشبت بينهم وبين المردة حروب طويلة فلا شكّ انهم عرفوهم باسم آخر . وللحال اخذت اتدبّر

التواريخ مرّةً ثانية باحثاً عن المردة باسم آخر فوقفتُ على الحقيقة والحمد لله. واليك نتيجة بحثي هذا:

١ً ان اسم « المردة » لم يعرفهُ اهل سوريّة في عصر فتوحات العرَب بل قد اصطلح عليهِ اليونان من عندهم واطلقوهُ على اولئك الأقوام المحاربين من باب المشابهة في العوائد والاخلاق الحربية لان المردة في الاصل من أقوام فارس والكلمة فارسية الاصل لا حظَّ لها من الاشتقاق العربي او الإرَميّ

٢ً ان الذين ذكروا اولئك الاقوام بعد ذلك باسم « المرَدَة » من الكتبة السوريين عرباً كانوا او ارمنيّين اخذوا تلك التسمية من اليونان لا من اجدادهم او سكان بلادهم الاقدمين. وكلُّ من ذكرهم باسم المردة هم من الكتبة المحدثين لا من المعاصرين لتلك الفتوحات

٣ً كان المردة في الاصل رُوماً مع اقوام شتى من امم مختلفة تجنَّسوا بالروميَّة وكذلك كان رؤساؤهم وقوادهم واغلب فرسانهم. وقد جاؤوا بلاد سوريَّة في أيَّام الفتوحات صدًّا لغارات العرب ثم انضمَّ اليهم جمٌّ غفير من الوطنيين (ومنهم كان الوارنة) وأنباط وأسرى وعبيد أُبَاق من عبيد « المسلمين » وبالخصوص من ابطال سُكَّان قرية الجرجومة فأُطلق على هؤلاء كلهم اجمعين اسم الجراجمة من باب تسمية الكل باسم الجزء. وهو اسمهم الصحيح التاريخي الذي عرفهُ المعاصرون من اجدادنا ومن كتبة العرب كما يتضح ذلك في مَوْطِنِهِ ان شاء الله

٤ً ان اسم المردة والاصحّ الجراجمة اسم قوم مُحارب قد اجتمع افرادُهُ من امم شتَّى و « أديانٍ » مختلفةٍ ولا جامعة لهم الَّا جامعة الحرب والغزو ولم يكن ابدًا اسم فرقة دينيَّة نصرانية او غيرها

٥ً كان الجراجمة قبل ان يأتوا لبنان يسكنون ولايات آسيَّة الصغرى التي رجعوا اليها بعد غزوتهم للُبنان لا بل ومنهم من توطَّن اضالية ومنهم من رحل الى جزيرة قبرس ومنهم من اقام في بلاد اليونان ومودة ونواحيها ولم يزالوا في جميع تلك البلاد على نظامهم العسكري الى ان تقلَّص ظلُّ السطوة الرومية وكان لهم ضبَّاط وقوَّاد يسوسون أمورهم. واما الوارنة فلم يهاجروا بلادهم الَّا النزر القليل منهم

فهذه كلها حقائق اصبحت عندي مثبتة راهنة يعزُّ عليَّ ذكرها لانها تُخالف كل المخالفة ما صرَّح بهِ آباؤنا وكُتَّابُنا إلَّا انَّ الحقَّ احقّ ان يُقال و يُتَّبع . قلتُ : « يعزُّ عليَّ » لاني أرى هذه النتائج التي استنتجتُها من كتب العرب (ما عدا النتيجة الاخيرة فهي من كُتُب اليونان) هي نفس ما توصَّل اليهِ الاب الفاضل العلاَّمة المحقّق المدقق هنري لامنس اليسوعيّ من كُتب اليونان . واني الآن لأعجب من دقّة نظرهِ واصابة سهم كلامهِ غرض الحقّ . ولذا اصبحتُ من بعد استيائي منهُ اشكر لهُ كل الشكل بلسان المشرق نيابةً عن كل من يُحبّ الحقّ ويتبعهُ على سعيهِ وتحقيقهِ واودّ ان يواصل مثل هذه الابحاث عن بلادنا وآثارها

امَّا كيفيَّة بلوغي الى مقصودي هذا فقد كان على الوجه الآتي : اني اخذت في ان ابحث عن اوَّل من ذكر اسم « المردة » وبعد التنقيب والتنقير لم اجد احدًا تقدَّم مؤرخي اليونان في اطلاق هذا الاسم عليهم . واشهر من نُقلت شهادتهُ وتناقلها الخلف عنهُ واحدًا بعد واحدٍ هو ثيوفانس واليك بعضًا ممَّا قال : « في السنة الثامنة والتاسعة لقسطنطين (الملك اللحياني اي في سنة ٦٧٥ و ٦٧٦) دخل المردة لُبنان وفتحوا جميع البلاد من جبل اللُكام (وفي الاصل « من الجبل الاسود » وهو اسمهُ القديم) الى بيت المقدس . واستحوذوا ايضًا على مشارف لبنان . وانضوى اليهم اناس كثيرون من البعيد ومن الوطنيين حتى انهم في برهة من الزمان بلغوا ألوفًا مؤلفة . . . فاوفد العدو الى القسطنطينيَّة وفدًا يطلب الصلح » . ثم قال بعد ذلك : « وفي السنة الاولى ليُسطنيان الملك الاخرم (اي سنة ٦٨٥) ارسل اليهِ صاحب الشام رُسلًا لتأييد الصلح وعاهدهُ على ان يلتزم الملك بان يُكعّ جيش المردة الذين في لبنان ويمنع شنَّ غاراتهم . . . وأنْ يُدفَع للملك كلَّ يوم (ويُروى كلَّ أُسبوع) ألف دينار وفرس وعبد . فارسل الملك بولس المجستريان لإحكام عقد عُرى الصلح فتمَّ العهد على يدهِ وشهد بهِ شهود عدل . ثم ارسل واستجلب ١٢ الفًا من المردة وبهذا العمل انثلمت شباة سلطة الروم . وذلك ان يسطنيان الاخرم لم يكن قد اكمل من العمر ١٦ سنة فكان أخرق في حكمهِ . وفي السنة الثانية استرجع المردة الساكنين في لبنان . وبهذه الصورة هدم سورًا حصينًا » انتهى كلام المؤرخ اليوناني

فلمَّا وقفتُ على هذا النص فهمتُ ان ثيوفانس لم يُسمّ اولئك الاقوام « مردة »

الأ توسّعاً ولم يُرد بذلك ابدًا ان يذكر اسمهم الحقيقي بل نُكتةً بديعيــة تاريخية لفهم قرّاءهُ ان ما جرى بين الجراجمة والعرب يُشبه ما جرى بين المردة واعدائهم في سابق الزمان. وذلك ان المردة كانوا أمةً قد تمّت جامعتُها قبل المسيح وكانت من الامم المادَويّة نازلة بالسيف الجنوبي من بحر قزوين بين جيلان غربًا والطافودة شرقًا وكانت قد خضعت خضوعاً اسميًا للدولة المادويّة الفارسيّة ثم للاسكندر ثم... ثم.. ثم... اما بلادهم فكانت تقريباً مازَندَران الحاليــة (اي بين جيلان وطبرستان) وكانوا صعاليك الّا انهم كانوا محاريب مغاوير يتهالكون على السلب والنهب والغزو ومن ذلك اسمهم بالمادويّة «مردان» او الابطال المغاوير المحاريب والواحد منهم «مَرْدْ» فعرّبوها وقالوا في جمعهــا مرَدَة. واما قول بعضهم انهُ مشتقّ من العربيــة من معنى التمرُّد فقول لا ينطبق على الحقيقة وان وافقهُ وجه الاشتقاق والتاريخ

وكان المردة يشنّون غارات شعواء على اعــدائهم بدون ان يريحوا اجسادهم. ومن ذلك الاشارة الدقيقة البديعة اشارة ثيوفانس المؤرخ التي تهافت على التقاطهــا المؤرخون من بعدهِ فاساؤوا التصرُّف بأخذها ومعناها. وهــذا الامر نفسهُ هو الذي دفع بعض الباحثــين من متأخري الافرنج الى القول بان المردة هم «من الشعوب التي كانت قبل المسيح وانهم هاجروا الى بلاد عديدة على ممرّ القرون ومنهم مردة لبنان». قلنا: فكونهم وُجدوا قبل المسيح فهذا امرٌ لا يختلف فيهِ اثنان واماً كون بعضهم هاجروا الى لبنان فممّا لم نتوفّق الى العثور عليهِ في التواريخ التي بيدنا

ولما تأكدتُ اختلاق هذا الاسم وعاريَتَهُ اخذتُ بيدي كامل ابن الاثير وتصفّحت الحوادث التي طرأت في بلاد الشام في ما يكاد يقع في نحو ذلك الزمــان فوجدتهُ يقول (٤: ١١٨): «ذكر عصيان الجراجمة بالشام»

ولما امتنع عمرو بن سعيد على عبد الملك خرج ايضاً قائدٌ من قوّاد الضواحي في جبل اللُكام واتبعهُ قوم كثير من الجراجمة والانباط واباق عبيد المسلمين وغيرهم. ثم سار الى لبنــان. فلمّا فرغ عبد الملك من عمرو ارسل الى هذا الخارج عليهِ فبذل لهُ كل جمعــة الف دينار (١). فركن الى ذلك ولم يفسد في البلاد. ثم وضع عليهِ عبد الملك سجيم بن المهاجر فتلطّف حتى وصل اليــهِ متكرًا فاظهر لهُ مالأتَهُ وذمّ عبد الملك وشتمهُ ووعدهُ ان يدُلّهُ على عوراتهِ وما هو خير لهُ من

١) قال ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص ١٩٤ من الطبعة الصالحانية: وفي سنة ٧٠

الصلح . فوثق اليهِ ثم ان سحيماً عطف عليهِ وعلى اصحابهِ وهم غارُّون غافلون بجيشٍ مع موالي عبد الملك وبني أُميَّة وجندٍ من ثقات جندهِ وشجاعهم كان اعدَّهم بمكانٍ خفيّ قريب وامر فنودي من اتانا من العبيد يعني الذين كانوا معهُ فهو حرٌّ وثبت في الديوان فانقض اليهِ خلق كثير منهم فكانوا ممَّن قاتل معهُ فقتل الخارج ومن اعانهُ من الروم وقُتل نفر من الجراجمة والاقباط ونادى المنادي بالامان فيمن بقي منهم فتفرقوا في قراهم وسدَّ الخلل وعاد الى عبد الملك ووفى للعبيد » . انتهى كلام ابن الاثير

فبحثتُ حينئذٍ في تاج العروس عن معنى الجراجمة فرأيتهُ يقول : « الجراجمة (بهاء) قومٌ من العجم بالجزيرة . وفي نسخة من العرب . وهو غلط . ومنهُ حديث وهب : قال طالوت لداود عم : انت رجل جري ، وفي جبالنا هذه جراجمة يختربون الناس او لصوص يستلبون النـاس وينهبونهم او هم نبط الشام . قال ابن بري : ومنهُ قول ابي وجزة :

لو ان جمع الروم والجراجما » . انتهى

فلمَّا لم ارَ في هذا الكلام اصل لفظة الجراجمة نقَّبت عنهـا في دائرة المعارف للبستاني فلم اظفر ثمَّ بشيء . فتعجبتُ من ذلك لاهمالهِ مادَّةً في غاية الاهميَّـة . ثم نقَّرت عنها في معجم البلدان فألفيت النص الآتي (٢ : ٥٥) :

الجُرْجومة . بضم الجيمين مدينة يقال لاهلها « الجَراجمة » (١ كانت على جبل اللكام بالثغر الشامي عند معدن الزاج فيما بين بَيَّاس وبُوقة قرب انطاكية . والجراجمة جبل كان امرهم في ايَّام استيلاء الروم ان خافوا على انفسهم فلم يتنبَّه المسلمون لهم وولَّى ابو عبيـدة انطاكية حبيب بن مسلمة الفهريّ فغزا الجرجومة فصالحهُ اهلهُ على ان يكونوا اعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام وان لا يؤخذوا بالجزية وان يُطْلَفُوا (بالفـاء الموحدة الفوقية اي يوهبوا) اسلاب من يقتلونهُ من اعداء المسلمين اذا حضروا معهم حرباً . ودخل من كان معهم في مدينتهم من تاجرٍ واجـير وتابع من الانباط من اهل القرى ومن معهم في هـذا الصلح فسُمُّوا « الرواديف » لانهم تَلوهم وليسوا منهم . ويقال انهم جاؤوا جم الى عسكر المسلمين وهم ارداف لهم فسُمُّوا رواديف . وكان الجراجمـة يستقيمون للولاة مرَّة ويموجُون أُخرى فيكاتبون الروم ويمالئونهم على المسلمين ولمَّا استقبل عبد الملك بن مروان لمحاربة مصعب بن الزُّبير خرج قوم منهم الى الشام مع ملك الروم

للهجرة وهي سنة الف للاسكندر استجاش يوسطينيانوس ملـك الروم على من بالشام من المسلمين فصُولح على ان يؤدّى اليهِ كلّ يوم جمعة الف دينار . وقيل « كلّ يوم » الف دينار وفرساً ومملوكاً انتهى . وهذا الكلام الاخير يوافق نصّ ثيوفانس

(١ وفي الاصـل المطبوع قد ضبطت الجيم الاولى بالضم وهو خطأ واضح لانَّ وزن التكسير « فَعَالِلة » لا يأتي ابدًا بضموم الاوَّل ابدًا

تفرقوا في نواحي الشام وقد استعان المسلمون بالجراجمة في مواطن كثيرة في ايّام بني أُميّة وبني العبّاس واجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة ». اه

فهذا الكلام وان كان مفيدًا غاية الافادة الّا انهُ وجيز الشرح قليل التفاصيل ويُشعر بان للجراجمة وقائع كثيرة وامورًا خطيرة. فبحثتُ عنهم في فتوح البلدان للبلاذري فوجدتهُ وافيًا بالمرام شافيًا لما في النفس من الأوام. ولذا ادرج كلامهُ الذي يكون بمنزلة فصل الخطاب. قال ولله درُّهُ من قائل (ص ١٥٩):

« امر الجراجمة » (وفي الاصل مضبوطة ايضًا بالضم وهو خطأ كما رأيت)

« حدَّثني مشايخ من اهل انطاكية: ان الجراجمة من مدينةٍ على جبل اللُّكَّام عند معدن الزاج فيما بين بَيَّاس وبوقا. يقال لها « الجرجومة ». وان امرهم كان في ايّام استيلاء الروم على الشام وانطاكية الى بطريق انطاكية ووالياها. فلمّا قدم ابو عبيدة انطاكية وفتحها لزموا مدينتهم وهمّوا باللحاق بالروم اذ خافوا على انفسهم فلم يتنبه المسلمون لهم ولم يتنبّهوا عليهم. ثم ان اهل انطاكية نقضوا وغدروا فوجّه اليهم ابو عبيدة من فتحها ثانية وولّاها بعد فتحها حبيب بن مَسْلَمَة الفهري. فغزا الجرجومة فلم يقاتلهُ اهلها ولكنهم بدروا بطلب الامان والصلح فصالحوهُ على ان يكونوا اعوانًا للمسلمين وعيونًا ومسالح في جبل اللكام وان لا يؤخذوا بالجزية وان يُنَقَّلوا اسلاب من يقتلون من عدوّ المسلمين اذا حضروا معهم حربًا في مغازيهم. ودخل من كان في مدينتهم من تاجرٍ واجيرٍ وتابع من الانباط وغيرهم واهل القرى في هذا الصلح فسُمُّوا « الرواديف » لانهم تلَوهم وليسوا منهم. ويقال انهم جاؤوا بهم الى عسكر المسلمين وهم ارداف لهم فسُمُّوا رواديف فكان الجراجمة يسنقيمون للولاة مرة ويعوّجون اخرى فيكاتبون الروم ويُمالئونهم. فلمّا كانت ايّام ابن الزُّبير وموت مروان بن الحكم وطلب عبد الملك (بن مروان) الخلافة بعدهُ لتوليتهِ اياهُ عهدهُ واستعدادهُ للشخوص الى العراق لمحاربة المصعب بن الزبير « خرجت خيل الروم الى جبل اللكام وعليها قائد من قوّادهم ثم صارت الى لبنان. وقد صوت اليها جماعة كثيرة من الجراجمة وانباط وعبيد آبَاق من عبيد المسلمين فاضطرَّ عبد الملك الى ان صالحهم على الف دينار في كل جمعة وصالح طاغية الروم على مالٍ يؤدّيه اليهِ لشغلهِ عن محاربتهِ وتمكُّنهِ ان يخرج الى الشام فيغلب عليهِ ». واقتدى في صلحهِ بمعاوية حين شُغل بحرب اهل العراق فانهُ صالحهم على ان يؤدي اليهم مالًا وارتهن منهم رهناء وضعهم ببعلبك. ووافق ذلك ايضًا طلب عمرو بن سعيد بن العاص الخلافة واغلاقه ابواب دمشق حين خرج عبد الملك عنها فازداد شغلًا وذلك في سنة ٧٠ (٦٨٩ م). ثم ان عبد الملك وجّه الى الرومي سُحيم بن المهاجر . . . فقتلهُ ومن كان معهُ من الروم ونادى في سائر من ضوى اليهِ بالامان فتفرَّق الجراجمة بقرى حمص ودمشق ورجع اكثرهم الى مدينتهم باللُّكَّام واتى الانباط قراهم فرجع العبيد الى مواليهم وكان ميمون الجُرْجماني عبدًا روميًا لبني أُمّ الحَكَم اخت معاوية بن ابي سفيان وهم ثقفيُّون وانما نُسب الى الجراجمة لاختلاطه بهم وخروجهِ بجبل لبنان معهم فبلغ عبد الملك عنهُ بأس وشجاعة فسأل مواليَهُ ان يعتقوهُ

ففعلوا. وقوّدَهُ على جماعة من الجند وصيّرهُ بانطاكية فغزا مع مسلَمَة بن عبد الملك الطُوانة وهو على الف من اهل انطاكية فاستشهد بعد بلاء حسن وموقفٍ مشهودٍ. فغمّ عبدَ الملك مصابُهُ واغزى الروم جيشاً عظيماً طلباً بثارهِ

« قالوا ولمّا كانت سنة ٨٩ (٧٠٧ م) اجتمع الجراجمة الى مدينتهم واتاهم قومٌ من الروم من قِبَل الاسكندرونة ورُوسيس (١ فوجّه الوليد بن عبد الملك اليهم مسلَمَة بن عبد الملك فاناخ عليهم في خلق من الخلف فافتتحها على ان يترلوا بحيث احبُّوا من الشام ويجري على كل امرئٍ منهم ثمانية دنانير وعلى عيالاتهم القوت من القمح والزيت وهو مدّان من قمح وقسطان من زيت وعلى ان لا يُكرَهوا ولا احد من اولادهم ونسائهم على ترك النصرانيّة وعلى ان يلبسوا لباس المسلمين ولا يوخذ منهم ولا من اولادهم ونسائهم جزية وعلى ان يغزوا مع المسلمين فيُنَفَّلوا اسلاب من يقتلونهُ مبارزةً وعلى ان يوْخذ من تجاراتهم واموال موسرهم ما يوْخذ من اموال المسلمين. فاخرب مدينتهم واترلهم فاسكنهم جبل الحوّار وسفح اللولون (٢) وعمق تيزين. وصار بعضهم الى حمص وترل بطريق الجرجومة في جماعةٍ معهُ ثم هرب (اي هذا البعض الآخر) الى بلاد الروم (٣

« وقد كان بعض العمّال ألزم الجراجمة بانطاكية (٣ جزية رؤوسهم فرفعوا ذلك الى الواثق بالله رحمه وهو خليفة فامر باسقاطها

« وحدّثني بعض من اثق بهِ من الكتّاب ان المتوكل على الله رحمه امر باخذ الجزية من هؤلاء الجراجمة وان تُجرى عليهم الارزاق اذ كانوا ممّن يستعان بهم في المسالح وغير ذلك. وزعم ابو الخطّاب الازديّ ان اهل الجرجومة كانوا يُغيرون في ايّام عبد الملك على قرى انطاكية والعَمْق (٤ واذا غزت الصوائف قطعوا على المتخلّف واللاحق ومن قدروا عليهِ ممّن في اواخر العسكر وغالوا في المسلمين. فامر عبد الملك ففرض لقوم من اهل انطاكية وانباطها وجعلوا مسالح واردفت بهم عساكر الصوائف ليوْذنوا الجراجمة عن اواخرها. فسمُّوا « الرواديف » واجرى على كل امرئٍ منهم ثمانية دنانير والخبر الاوّل اثبت

---

١) قال ياقوت: روسيس بضم اولهِ وسكون ثانيهِ والسين الاولى مهملة وياء ساكنة كورة من كور العواصم راكبة البحر بين انطاكية وطرسوس بلاد الروم

٢) ويريد العرب ببلاد الروم ما نسمّيهِ اليوم بآسية الصغرى واضالية وبلاد اليونان ومورة كما يتّضح ذلك من مراجعة كتبهم. وهو امرٌ لا شكَّ فيهِ ولنا نصوص عديدة توْيدهُ

٣) ومن ذلك ترى ان الجراجمة اصبح اسماً عامّاً لاولئك الاقوام ولا يُراد بهِ فقط اصل جرجومة كما ترى من سياق هذا الكلام اذ نرى الجراجمة في انطاكية

٤) العَمْق على ما قالهُ ياقوت: « كورة بنواحي حلب بالشام الآن وكان اولًا من نواحي انطاكية ومنهُ اكثر ميرة انطاكية »

(ثم اورد حضرة الاب انستاس ما نقلناهُ عن البلاذري سابقاً (راجع المشرق ٥ : ١١٢٥) من امر الامام الاوزاعي وتوسُّطهِ لمَّا شكا اهل لبنان عامل خراج بعلبك)

هذا ما اخذناهُ بحرفهِ عن تاريخ هذا الكاتب المحقِّق . وانت تعلم عُلوَّ منزلة البلاذريّ من تدوين الحوادث اذ انك لا ترى ابدًا هذا الجهبذ يُلقي الكلام على عواهنهِ بل يسندهُ دائمًا الى من حدَّثهُ بهِ . فضلًا عن انهُ كان معاصرًا لاغلب تلك الوقائع لانهُ ولد في اواخر القرن الثاني للهجرة وتوفّي في عهد المتوكل (وكانت خلافة المتوكل من سنة ٢٣٢ الى ٢٤٧ هـ = ٨٤٦ — ٨٦١ م) ويكاد يكون معاصرًا لأقدم مَن ذكر الجراجمة باسم المردة اي ثيوفانس الذي ولد نحو سنة ٧٥١ وتوفي سنة ٨١٨

ومن بعد ان بلغنا الى هنا من بحثنا هذا اخذنا نتصفَّح بعض الكُتُب في هذا الموضوع فوجدنا ابن العبريّ يقول في تاريخهِ السريانيّ (الإرَميّ) العبارة ما نصُّهُ (راجع طبعة الاب بدجان ص ١٠٩) :

« ابعث حُصُنًا وصنا متبما اصحه حصهوا وهم معوسا حتحصا صحصنم صصه ولسنه مع لهوا وحصلا حبصا حلهوا اصحصا صحصحه لهوا وحصح صصحتاا صحصه صصصه لمتنا صحسناا اسنصه لمتنا صحصصصه صهصه صحصصصه حصوه حتسصصه »

وهذا تعريبهُ : « انَّ قوماً من الروم غزاة مَرَدَة اي من الكماة وكان اهل سوريَّة يسمُّونهم « جَراجمة » اي أبطالًا ضبطوا البلاد من جبل الجليل الى الجبل الاسود (اللُّكَّام) وكل جبل لبنان وكابد العرب منهم كثيرًا وفي الآخر تغلَّب عليهم العرب فقتلوا بعضًا منهم وسَبَوا عُيُون آخرين . » اه .

ومن هذا الكلام نتحقَّق أمرَين وهما : ان اهل سوريَّة القدماء ما كانوا يعرفون هؤلاء الاقوام الَّا باسم الجراجمة واماَّ المردة فانَّها دخيلة وان الجراجمة والمردة قوم واحد عُرفوا باسمين مختلفَين . ومن يسمع شهادة ابن العبري وهو خالي الغرَض لا يتالك من ان يقول : « قطعت جهيزة قول كل خطيب » . والسلام

(المشرق) انَّ في قول حضرة الاب انستاس تحت عدد ٣ (ص ٣٠٣) انَّ الموارنة ممَّن انضمُّوا الى المردة وأطلق عليهم جميعًا اسم الجراجمة لمن شأنهِ ان يوفّق بين رأي حضرتهِ والرأي المخالف اذ لا يُستغرب ان يكون اسم الجميع أطلق على قسمٍ واحدٍ فدُعي الموارنة بالمردة لانَّهم كانوا منهم